القسم الأول

العقل (١) هو أحسن الأشـياء توزعا بين النـاس (بالتساوى) اذ يعتقد كل فرد أنه أوتى منـه الكفاية ، حتى الذين لايسـهل عليهم أن يقنعوا بحظهم من شيء غيره ، ليس من عادتهم الرغبة فى (٢) الزيادة لما لديهم منـه • وليس براجح أن يخطىء الجميع فى ذلك ، بـل الراجح أن يشهد هذا بأن قوة الاصابة فى الحكم ، وتمييز الحق من الباطل ، وهى فى الحقيقة التى تسمى بالعقل أو النطق ، تتساوى بين كل الناس بالفطرة ، وكذلك

---

(١) التعبير الفرنسوى الذى استعمله ديكارت هو Bon sens وقصد به القوة اللازمة لاجادة الحكم أى لتمييز الحق من الباطل فى النظـرى والعمل • وللعقل عملان فكريان أساسيان وهما البداهة Intuition والقياس Déduction (راجع القاعدة الثالثة من القواعد لقيادة العقل (١) وهانكان : منهج ديكـارت •

(٢) فى مجلة ما بعد الطبيعة وعرم الاخلاق نوفمبر سنة ١٩٠٦ ص ٧٦٠ وانظر فى مقدمتنا شرح معنى البداهة والقياس عند ديكارت) • ومما يجدر بالذكر أنه وجد بين أوراق ديكارت بعد وفاته كتيب عنوانه Studium bonae mentis أى درس العقل وقد نقل هذا العنوان الى الفرنسوية مترجم حياته بابيه BAILLET كما يأتى L'étude du bon sens ou de l'art de bien comprendre أى درس العقل أو فن اجادة الفهم . ويرجح أن تلك الكتابة كانت مشروع المقال عن المنهج (راجع عملان مذهب ديكارت (٣) ص ٣٦) •

Scanné avec CamScanner

يشهد بأن اختلاف آرائنا لاينشأ من أن البعض أعقل من البعض الآخر ، وانما ينشأ من أننا نوجه أفكارنا فى طرق مختلفة ، ولاينظر كل منا فى نفس ماينظر فيه الآخر لأنه لايكفى أن يكون للمرء عقل ، بل المهم هو أن يحسن استخدامه • وان أكبر النفوس لمستعدة لأكبر الرذائل مثل استعدادها لأكبر الفضائل ، والذين لايسيرون الا جد مبطئين يستطيعون حين يلزمون الطريق المستقيم أن يسبقوا كثيرا من يعدون ، ويبتعدون عنه •

أما انا فلم أدع قط أن نفسى أكمل من نفوس الغير ، بل كثيرا ماتمنيت أن يكون لى من سرعة الفكر ، أو من وضوح الخيال وتميزه ، أو من سعة الذاكرة وحضورها ، مثل ما لبعض الناس • ولست أعرف فضائل غير هذه تعين على تكميل النفس : لأنى أميل الى الاعتقاد بأن النطق ، أو العقل ، مادام هو الشىء الوحيد الذى يجعلنا أناسا ويميزنا عن سائر الحيوان ، هو بأكمله فى كل انسان ، وانى أميل فى ذلك الى اتباع الرأى الشائع بين الفلاسفة الذين يقولون انه لا زيادة ولا نقصان الا فى الاعراض (١) ، ودون الصور

---

(١) جمع عرض وهو ما يتعلق بذات ما دون ان يلزمها فى تعريف ماهيتها

Scanné avec CamScanner

بالتدريج ، وان أسمو بها قليلا الى أعلى درجة (١) يسمح ببلوغها مافى عقلى من ضعف ، وما فى مدى حياتى من قصر ، ذلك لأنى جنيت من ثمرات ذلك المنهج (٢) ماجعلنى أحاول دائما فى الأحكام التى أكونها عن نفسى أن أميل الى جهة الحذر ، أكثر من ميلى الى جهة الغرور ، ولما نظرت بعين الفيلسوف الى فعال الناس ومقاصدهم لم يكد يظهر لى أن شيئا منها عبث وعديم النفع ، على أن التقدم الذى أظننى تقدمته فى البحث عن الحقيقة ، قد بلغ بى غاية الرضا ومهد لى فى المستقبل آمالا تجعلنى أرى أنه اذا كان من مشاغل الناس من حيث هم ناس (٣) ماهو خير وذو خطر ، فلى أن أجرؤ على القول بأنه هو العمل الذى تخيرته ٠

وعلى كل حال فقد أكون مخدوعا ، وقد لايكون الا

---

(١) كان العنوان الذى يريد ديكارت وضعه على المقال هو مشروع علم شامل يستطيع أن يرفع طبيعتنا الى أعلى درجة لها فى الكمال (راجع كتابه الى صديقه مرسن Meresenne فى مارس سنة ١٦٣٦ فى المجلد الأول من الاعمال الكاملة طبعة آدام وتانرى ص ٣٣٩) ٠

(٢) يقصد استكشافه للهندسة التحليلية وهى توفيق بين علمى الهندسة والجبر وكذلك اثباته وجود الله بالبراهين التى سيذكرها فى القسم الرابع وكذلك آراءه فى الطبيعيات وسيشير اليها فى القسم الخامس ٠

(٣) يقصد الأفراد العاديين الذين يهبهم الله قدرة فوق ما لغيرهم من بنى الانسان بحيث يتولون بالمعجزات ٠

Scanné avec CamScanner

قليلا من النحاس والزجـاج ذلك الذى أعتبره ذهبا وماسا • فاننى لأعلم مبلغ الخطأ الذى نحن عرضة له فيما يمسنا من الامور ، ومبلغ الحـذر الذى يجب أن تكون أحكام أصحابنا موضعا له . عنـدما تكون فى مصلحتنا • (٤) ولكنى سأجتهد أن أبين فى هذا المقال. ماهى الطرق التى تبعتها ، وأن أمثل حياتى فيه كأنها فى لوح تصوير ، حتى يسـتطيع كل أن يحـكم فيها حكمه ، وحتى يكون علمى بمختلف الآراء فيهـا بما يصل الى من صدى ، وسيلة جديدة لتعليمى ، أضيفها الى ما اعتدت أن أستعين به من الوسائل •

واذن ليس غرضى أن أعلم المنهج الذى يجب على كل فرد اتباعه لكى يحكم قيادة عقله . ولكن غرضى هو أن أبين على أى وجه حاولت أن أقود عقلى • وان الذين ينصبون أنفسهم لاسداء النصائح . يلزمهم أن يعتبروا أنفسهم أحذق ممن يسدونها اليهم ، واذا زلوا فى أدنى الأمور ، استحقوا الملام • ولكن ، لما لم يكن غرضى من هـذا الكتـاب الا أن أجعله تاريخا ، وان شئت فقل قصة ، قد يكون فيها أمثلة تحتـذى ، وقد تلقى فيهـا أيضا أمثلة غيرها كثيرة يحـق للمرء ألا يقتدى بها ، فانى آمـل أن يكون هـذا الكتاب نافعا

Scanné avec CamScanner

للبعض ، من غـير أن يضر أحـدا ، وان يرضى عنى الجميع لصراحتى ٠

غذيت بالآداب منذ طفولتى ، وآقنعت آنه مستطاع بواسطتها تحصيل علم بين يقينى بكل ماهو نافع فى الحياة ، فاشتدت رغبتى فى تعلمها ٠ ولكنى ماكدت أنتهى من تلك المرحلة من الدراســـة ، حيث كانت العادة قبول الانسان عند نهايتها فى مرتبة العلماء ، حتى غيرت رايى كل التغيير ٠ ذلك بآننى وجدت نفسى يحيرنى من الشكوك والضلالات ، مابدا لى معه آننى لم أكتسب من اجتهـادى فى التعليم ، الا تبين شـيئا فشـيئا جهـالتى ٠ على آنى كنت مدرسـة من آشـهر مدارس أوربا كنت آظن آنه يجب آن يكون فيها علماء. اذا كان فى آى موضع من الأرض علماء (١) ٠ ولقد تعلمت فيها كل ماكان يتعلم غيرى ، بل اننى لما لم آقنع بما كانوا يعلموننا من العلوم ، تصفحت كل ماوصل الى من كتب فى العلوم التى يعتبرونها أعجب العلوم

---

(١) يقصد مدرسة لافليش الملكية التى أسسها اليسوعيون فى عهـد هنرى الرابع عام ١٦٠٤ ٠ وديكارت ج ٢ ص ٣٧٨ ٠

Scanné avec CamScanner

وأندرها (١) وكنت أيضا أعرف مايحكم به الآخرون على . ولم أشهد قط أنهم ينزلوننى دون منزلة رفاقى مع أن بعضهم كان يعد لأن يشغل مناصب أساتذتنا . ثم انه كان يخيل الى أن عصرنا فى ازدهاره وفى خصبه بالعقول القوية ، لايقل عن أى عصر من العصور السالفة . وهذا أورثنى حرية فى أن أحكم بنفسى فى كل من عداى وان أرى أن ليس فى الدنيا من العلم ماينطبق على ماكنت قد صيرت من قبل الى القصد اليه (٢) .

وعلى كل حال فاننى ماغمطت حق مايشتغلون به فى المدارس من الدروس وانى لأعلم أن اللغات التى تعنم فيها لازمة لفهم الكتب القديمة وأن طلاوة القصص توقظ النفس ، وأن حوادث التاريخ المذكورة تسمو بها ، واذا قرئت بتمحيص فانها تعين على تكوين الحكم (٣) ، وأن قراءة كل الكتب الجيدة هى كمحاضرة

---

(١) يعنى بالعلوم العجيبة السحر وأحكام النجوم والكيمياء (كما كانت قديما) وغيرها من العلوم التى لا يطلع على خفاياها الا القليل ويعنى بالعلوم النادرة ماعز على العامة منالة .

(٢) يقصد بذلك « أن عدم كفاية العلم الذى تلقيته هو السبب الوحيد فى ضلالى اذ لا يمكن تعليه بنقص فى المدرسة التى تعلمت فيها ولا فى أساتذتى ولا فى نفسى ولا فى زمانى » (تعليق ٤ جلسون ص ١١٠) .

(٣) يقصد بالحكم القوة اللازمة لتمييز الحق من البواطل (انظر التأملات الرابعة (١٢)) .

Scanné avec CamScanner

مؤلفيها الذين هم خير أهل القـرون الماضية بل هى محاضرة معتنى بها ، لايكشفون لنا فيها الا عن صفوة أفكارهم وأن للبلاغة قوة وجمالا لايضارعان • وأن للشـعر رقـة وحـلاوة رائعتين جـدا وأن فى (٦) الرياضيات اختراعات جد دقيقة ، وتفيـد كثيرا فى ارضـاء النفوس المتطلعة وفى تسـهيل كل الفنون ، وتوفير جهد الناس ، وأن الكتب الباحثة فى الاخلاق تشتمل على كثير من التعاليم وعلى مواعظ كثيرة تدعو الى الفضيلة وهى مفيدة جدا ، وأن علم أصول الدين يهدى الى طريق الجنة ، وأن الفلسفة تعطينا وسـيلة للقـول فى كل شىء بمـا هو أدنى للحـق ، ولكسب الاعجاب ممن أقل منا علما (١) ، وأن التشريع (٢) ، والطب والعلوم الأخرى تأتى بالجـاه والثروة للذين يتعلمونها ، وأخيرا فمن الخير أن نخبرها جميعا حتى أكثرها خرافة وبطلانا ، لنعرف قيمتها بالعدل ونحذر الخديعة فيها •

---

(١) يقصد بالفلسفة فلسفة العصور الوسطى وهو يسوق قوله تهكما [illegible]

(٢) يعنى علوم القوانين والحقوق ـ وقد كان ديكارت طالبا فى الحقوق [illegible] بواتييه وليث فيها سنتين من سنة ١٦١٤ الى سنة ١٦١٦ ونال منها أجازة القانون المدنى والدينى فى ١٠ نوفمبر سنة ١٦١٦ • راجع شارل آدام حياة ديكارت ص ٤٠ مذكرة أ •

Scanné avec CamScanner

ولكنى كنت أعتقد أننى أنفقت الكفاية من الوقت فى اللغات ، بل وفى قراءة الكتب القديمة ، وأيضا مافيها من تواريخ وقصص : فان محاضرة أهل العصور الأخرى تكاد تكون كالسفر ، وانه لمفيد أن نعرف شيئا عن أخلاق الأمم المختلفة ، حتى يكون حكمنا على أخلاقنا أصح ، وحتى لانظن أن كل ماخالف عاداتنا هو سخرية ومخالف للعقل ، كما هو دأب الذين لم يروا شيئا (١) ولكن اذا أسرف المرء فى صرف الوقت فى السفر فانه ينتهى الى أن يصير غريبا فى بلده ، ومن أسرف فى التطلع الى ماكان يحدث فى العصور (٧) الخالية ظل فى العادة شديد الجهل بما يقع فى زمانه • وفوق ذلك فان القصص تجعلنا نتخيل ممكنا ما ليس ممكنا من الحوادث ، بل وان أصدق التواريخ اذا لم يغير من قيمة الأشياء ولم يزدها ، كى يجعلها أجدر بأن تقرأ ، فانه على الأقل يكاد يهمل دائما أدنى الظروف شأنا وأقلها شهرة : ومن ثم فان مايبقى لايبدو كما هو ، والذين يتخذون مما يستنبطونه منها أسوة لأخلاقهم يكونون عرضة للوقوع فى الغلو الذى وقع فيه فرسان قصصنا ، وللتطلع الى مافوق طاقتهم •

(١) يقصد الذين لا تتجاوز معارفهم حدود بلادهم •

Scanné avec CamScanner

كنت عظيم التقدير للبلاغة ،وكنت مولعا بالشعر، ولكنى رأيت أن كليهما أقرب الى أن يكون من المواهب النفسية ، لا من ثمرات الدرس (١) والذين لهم الحجة البالغة ، الذين يرتبون أفكارهم على أحسن وجه ، كى يجعلوها جلية ومفهومة ، يقدرون دائما على الاقناع بما يرون ، ولو كانوا لايتكلمون الا بكلام العامة ، ولم يتعلموا قط علم الخطابة • والذين لهم الأخيلة الرائعة ، ويعرفون كيف يعبرون عنها بأحسن المجازات وأحلى الأساليب ، هم خيرة الشعراء ، وان كان فن الشعر مجهولا لديهم •

كانت تعجبنى الرياضيات على الخصوص ، وذلك لما فى براهينها من الوثاقة والوضوح ، ولكنى لم أكن ألحظ فائدتها الحقيقية ، الا فى الصناعات

---

(١) هذه فكرة عزيزة لدى ديكارت وهو يأخذ بها منذ سنة ١٦١٩ (راجع المقدمة التعليق على ختام الجزء الأول وأرجح أنها ترجع الى سقراط الذى يقول « ان انتاج الشعراء يرجع الفضل فيه ، لا الى علمهم ، ولكن الى هبة طبيعية ، أو الى الهام الهى شبيه بالهام الأنبياء والعرافين » أفلاطون دفاع سقراط ص ٢٢ (أعمال أفلاطون فى مجموعة الجامعات الفرنسية المجلد الأول ص ١٤٦ ـ ١٤٧) • ويقول سقراط فى نفس الصفحة انه طلب الى بعض الشعراء تفسير بعض شعرهم فكانوا لا يفهمونه جيدا • ويأخذ أفلاطون بنفس الفكرة فى حواريه ايون ويقول أن شعر الشعراء وحى من آلهة الشعر انهم ينشدونه دون تمام فهمه •

Scanné avec CamScanner

الميكانيكية (١) كنت أعجب أن تكون أسسها البالغة فى متانتها وقوتها لم يشيد فوقها بناء أسمى ، وبالعكس فاننى كنت أشبه كتابات القـدماء (فى الجاهلية) (٢) الباحثة فى الأخلاق بقصور جد رائعة وفخمة ، لم تشيد الافوق (٨) الرمل والطين · وانهم ليرفعون الفضائل الى أعلى أوجها ، ويظهرونها أحق بالاجلال من كل شيء فى العالم ، ولكنهم لايرشدوننا الى تعرفها ارشادا كافيا ، وكثيرا مايكون الذى يدعونه بأجمل الاسماء ، انما هو فقد العـواطف والاحسـاس (٣) أو الكبرياء (٤) أو اليأس (٥) أو قتل القريب (٦) ·

---

(١) كان يهتم فى عصر ديكارت بتعليم الرياضيات لتطبيقها فى الأعمال مثل مساحة الأراضى وهندسة ميادين الحرب وفى المقاييس والموازين المختلفة وفى استعمال الآلات الصناعية وغير ذلك ·

(٢) فى النص الفرنسى Les anciens paiens ويقصد بهم كتاب ما قبل المسيحية · ويظهر من الجملة التالية انه لا يقصد غير الرواقيين لأن الذى يذكره وينكره من الاخلاق هو من تعاليم بعضهم ·

(٣) كان الرواقيون يدعون الى الا يكون للأهواء العـواطف اى تأثير على الحكيم كما انه يجب أن يتحمل كل الآلات الحسية دون الاهتمام بها ·

(٤) كان الرواقيون يرفعون رتبة الحكيم فوق كل رتبة ويساوونه بالاله ·

(٥) وكان بعضهم يبيح الانتحار . اذا اقتنع المرء باليأس من هناءة الحياة ، فيكون الموت فى زعمهم خلاصا من الآلام ·

(٦) فى النص الفرنسى parricide ومعناها الآن قتل الأب ولكنها فى زمن ديكارت كانت تفيد قتل القريب على العموم ، ويحتمل انه يشير الى قتل بروتس لقيصر . وقول الثانى للاول عندما تلقى منه الطعنة القـاتلة « وانت أيضـا ، يابنى Tu quoque fili mi » ·

Scanné avec CamScanner

وكنت أجل علومنـا الدينية ، وأطمع كغيرى فى الجنة ، ولكن لما علمت علمـا مؤكدا أن الطـريق اليها ليس ممهدا لأجهل الجهـلاء أقل مما هـو ممهـد لأعلم العلماء (١) ، وان الحقائق الموحى بها ، والتى تهدى الى الجنة هى فوق فهمنا ، لم يكن لى أن أجرؤ على أن أسلمها لضعف استدلالاتى ورأيت أن محاولة امتحانها امتحانا موفقا تحتاج لأن يمد الانسان من السماء بمدد غير عادى وأن يكون فوق مرتبة البشر (٢) ٠

ولن أقول عن الفلسفة ، الا أنه لما رأيت أن الذين كانوا يتدارسونها هم خيرة العقلاء ، ممن عاشوا منذ عصور كثيرة ، ومع ذلك ليس فيها بعد أمر لايجادل فيه، أى ليس مشكوكا فيه ، فاننى لم أكن قط من الغـرور

---

(١) الوصول الى الجنة يكون بالايمان والايمان ليس من عمل العقل (راجع التعليقة التالية) ٠

(٢) يقصد بالمدد غير العادى الوحى الذى يفيضه الله على بعض الناس ممن يختصهم ، وهم بذلك يرتفعون فوق مستوى الانسانية العادى ٠ ولقد أحصى ديكارت أربعة اصول للعلم كما كان فى زمانه وهى ١ ـ الافكار الجلية بذاتها التى تحصل بدون تفكير ٢ ـ ما يحصل بواسطة الحواس ٣ ـ معاشرة الناس ٤ ـ قراءة الكتب الجيدة ٠ ثم يقول كلها لا تكسب الا بتلك الوسائل الاربع أما الوحى الالهى فانه لا يوصلنا الى العلم بالتدريج ٠ شان تلك الطرق ٠ بل يسمو بنا مرة واحدة الى عقيدة معصومة من الخطأ (راجع رسالته الى من ترجم الفرنسية كتابه مبادىء الفلسفة)

Scanné avec CamScanner

بحيث آمل آن آنال فيها من التوفيق خيرا من الآخرين ، ولما تأملت ما قد يكون فى المسألة الواحـدة ، من آراء مختلفة ، يؤيدها رجال علماء ، على آن الحق فيها لايكون الا واحدا ، فاننى اعتبرت كل ماليس الا راجحا يكاد يكون باطلا (١) ٠

أما العلوم الأخرى التى كانت تأخذ أصولها من الفلسفة ، فقد كان حكمى فيها آنه لايستطاع اقامة بناء قوى على قواعد ليست على (٩) شىء من المتـانة ٠ ولم يكن ماتغرى به من الجاه والكسب (٢) بكاف ليبعثنى على تحصيلها ، فاننى لم آكن أشعر ، بفضل من الله ، اننى فى حالة تضطرنى الى آن آجعـل من العلم صنعة لتحسـين رزقى ومـع آنه لم يكن من دآبى آن آكـون كلبيا (٣) يحتقر المجد فاننى مع ذلك لم آكن آعبآ الا

---

(١) يقصد ما لايعتمد فى اثباته على البرهان الصحيح الذى يوقع اليقين ، وانما يعتمد على القياس الجدلى الذى يوقع تصديقا شبيها باليقين ٠

(٢) يشير الى الجاه الذى ينتج عن درس الفقه والقوانين ، والى الكسب الذى ينتج عن درس الطب

(٣) أى من اتباع المذهب الكلبى ، نسبة الى ديوجينيس الكلبى ، ويرجع الاستاذ جلسون آن تكون فى تلك العبارة اشارة الى جواب ديوجينيس نفسـه الى الاسكندر المقدونى « الذى أريده منك ، هو آن تنحـرف كيـلا تمنع عنى الشمس » (انظر التعليق (٤) ص ١٤٠) ٠

Scanné avec CamScanner

قليلا بمجد لم أكن لآمل قدرة على تحصيله الا بالباطل (١) ٠

أما العلوم الباطلة ، فلقد كنت أعتقد اننى بلغت من عرفان قيمتها حدا لاأكون معه عرضة للخديعة بوعود الكيماوى أو بتكهنات المنجم ، ولا بتضليلات الساحر ، ولا بالتصنع أو الزهو ممن ديدنهم أن يظهروا باكثر مما يعلمون ٠

من أجل هذا فاننى ماكدت أن تسمح لى السن بالتحلل من ربقة معلمى حتى هجرت كل الهجر دراسة الآداب ٠ واذ صممت على ألا ألتمس علما الا مااشتملت عليه نفسى (٢) أو ماكان فى الكتاب الكبير ، كتاب

---

(١) يشرح النص اللاتينى ذلك بما زاد فيه على الاصل الفرنسى وهو « اى نظرا لما فى هذه العلوم من معارف غير صحيحة » (أعمال ديكارت ج١ ص ٢١٤) ٠

(٢) فى ذلك يظهر ديكارت اعتقاده بعدم كفاية العلم الذى كان موجودا فى زمنه فى الكتب ، وعلى ذلك فهو يبحث عن طريقة أخرى لاستكشاف علم جديد . وهنا يرى أن تلك الطريقة هى فى التفكير بعقله الحر المستقيل ، لأنه كان يعتقد أن بذور العلوم كائنة فينا ، وان الحقيقة تثوى فى نفوسنا كما تثوى النار فى حجر الصوان ٠ ولعله كان يريد بذلك تقليد الشعراء الذين يعتمدون على الاختراع، أى على استخراج الحقائق من عقولهم ، وفى ذلك ينحصر فضل الشعر أكثر من اعتمادهم على تحصيل مادة أشعارهم من الكتب ، أو من محاضرة غيرهم ٠ (راجع ميلو Milaud ازمة صوفية عند ديكارت عام ١٦١٩ (٩) فى مجلة ما بعد الطبيعة والأخلاق المجلد الثالث والعشرين ج ٤ ص ٦٠٧ – ٦٢١) وارجح ان ديكارت عزم على ذلك عام ١٦١٦ بعد انتهائه من درس الحقوق فى جامعة بواتيه وقبل ابتدائه فى الرحلات كما يظهر من النص ٠

Scanné avec CamScanner

العالم ، فاننى أنفقت بقيـة شبابى فى السـفر ، وأن أتصل بقصـور وبجيـوش وأغشى أناسـا من مختلف الامزجة والدرجات ، وفى جمع التجارب المختلفة ، وأن ابتلى نفسى فيما ساق الى الحظ من مصادفات ، وأن أفكر أينمـا كنت فى الامـور التى كانت تعرض لى تفكيرا يمكننى من أن أستخلص منها فائدة • فقد كان يبدو لى أننى أستطيع أن أجد من الحقائق ، فى التفكير الذى يفكره كل انسان فى الامور التى تهمه ، والتى سرعان ماتؤذيه (١٠) عاقبتها ، ان كان قد أخطأ فى الحكم ، مالايوجد فى تفكيرات أحد النظار من رجال الآداب وهو بين جدران حجرته فيما يمس أمورا نظرية ليس لها فى الخـارج أثر (١) ، ولاتكون له منها نتيجة ، الا ما قد يدركه من غرور بها على مقـدار بعـدها عن العقل ، بسبب مابذل من الفكر والحيلة كى يجعلها شبيهة بالحق، وكانت رغبتى شديدة دائما فى أن أتعلم كيف أميز الحق من الباطل ، كى أكون على بصيرة فى أعمالى ولكى أسير على هدى فى حياتى •

فى الحق أنى حينما كان جهـدى مقصـورا على

---

(١) فى ذلك يهاجم ديكارت طرق التفكير فى العصور الوسطى . ويتهكم على عقم الجدل الذى كان يقتصر عليه العلماء .

Scanné avec CamScanner

ملاحظة أخلاق الناس فانى لم أجد فيها موضعا ليقين ، ولحظت فيها من التباين نحو مالحظته من قبل فى آراء الفلاسفة • وقد كان أكبر ماحصلته من فوائدها ، اننى لما رأيت أمورا كثيرة ، تبدو لنا من الشطط والسخرية، ومع ذلك فان أممـا عظيمة تجمع على قبولها والرضاء عنها ، فاننى تعلمت ألا أعتقد اعتقادا جازما فى شىء ما يحكم التقليد أو العادة وكذلك تخلصت شيئا فشيئا من كثير من الأوهام ، التى تستطيع أن تخمد فينا النور الفطرى (١) وتنقص من قدرتنـا على التعقل • ولكن بعد أن أنفقت بعض السنين فى الدرس على تلك الحال فى كتاب العالم ، وفى الاجتهـاد فى تحصـيل بعض التجربة ، فاننى عزمت فى بعض الأيام أن أبحث أيضا فى نفسى وأن أصرف قواى العقلية كلهـا فى اختيار

(١) يقوم ديكارت فى مبادىء الفلسفة (٦) فى الفقرة الثلاثين من الجزء الأول ، وينتج من ذلك أن ملكة المعرفة التى وهبها الله لنا . والتى نسميها بالنور الفطرى . لا تتصور مطلقا أى شىء مالم يكن حقيقيا من حيث هى تتصوره . أى مادامت تعامله بوضوح وتميز . الخ » • وكذلك أن لديكارت حوارا وهذا عنوانه الطويل « البحث عن الحقيقة بواسطة النور الفطرى . الذى يعين وهو خالص وحده . وبدون أن يستعين بالدين أو بالفلسفة . الآراء التى يجب أن يراها رجل شريف فيما يختص بكل الامور التى تشغل فكره . وينفذ الى أسرار أعيب العلوم (٧) » ويشار اليه للايجاز بالبحث عن الحقيقة فقط •

الطرق التى يجب أن أسلكها (١) وقد لقيت فى هذا على مايبدو لى نجاحا لم اكن لألقاه لو أننى لم أفارق (١١) قط بلادى ولا كتبى •

Scanné avec CamScanner